من رجال الجلاء

"سعد الله الجابري"

بقلم :
نزار نسيب قباني

من هو سعد الله الجابري يا والدي ..؟
سألني ولدي .. بعد سماعه احدى الاعلانات التلفزيونية وذكر اسم الشارع المسمى باسم المرحوم سعد الله الجابري .
من هو سعد الله الجابري يا والدي .. ؟
ألا تعرف يا بني من هو سعد الله الجابري ، وبالأمس كنت تحدثني عن هوشي منه وعن غيفارا ..
مسكين ابني .. انه من تلامذة هذا الجيل .. وصدق الشاعر عمر ابو ريشة في قصيدة رثائه للجابري :

وتمر الأجيال سائلة من كان سعد وماله من أيادي
.. سعد الله الجابري يا بني .. احد رجالات الاستقلال ممن جاهدوا وجالدوا حتى كان الاستقلال الذي ننعم به اليوم .. وسوف أحدثك قليلا عنه .

في عام ١٩٤٠ كانت ثورة الزعيم ابراهيم هنانو .. في الشمال في جبل الزاوية .. حاول الفرنسيون اعتقال الزعيم هنانو والامساك به . . ذهب الى الاردن لاجئا سياسيا الا ان الانكليز من شيمهم الغدر ، وخلافا لكل عرف أو قانون اعتقلوه وسلموه الى السلطة الفرنسية ..

أخذ الفرنسيون بمحاكمته محاكمة علنية ليرهبوا الأمة والشعب .. فسأل رئيس المجلس العسكري الفرنسي الزعيم هنانو في قاعة المحكمة .

ان الشعب لم يطلب منك اعلان الثورة .. دلني على واحدا من أفراد هذا الشعب طلب منك اعلان الثورة .

في هذا الموقف ، وقف سعد الله الجابري ليقول لرئيس المجلس العسكري :

- أنا واحد من أفراد هذا الشعب ممن طلبوا الى الزعيم هنانوا مقاتلتكم حتى تعود حريتنا الينا .

- ويصف لنا الشاعر عمر أبو ريشة هذا المشهد فيقول :

ما نسيناه يوم جيء بابراهيم
بين الحراب والاجناد
وتلقته سدة العدل خجلى
منه ، من جرحه ، من الاصفاد
وهجان القضاة تلمع في أحداقها
الزرق ، مدية الجلاد
سألوه عن صحبه فأبى ان يقفر
الغاب من حمى الآساد
فسرى الصمت يحبس النفس المتعب
في رهبة الفضاء البادي
وإذا زأرة يموج لها الجمع
وتدوي صخابة الارعاد

البقية على الصفحة العاشرة

من رجال الجلاء «تتمة»

واذا سعد الأبي مطل
ثابت العزم مطمئن الفؤاد
صاح : أني فرند كل حسام
شهرته كف العلا للجلاد
كيف أغفو على فراس الأقاحي
وهنانو على فراش القتاد
أنا زودته بما أبقت الايام
فينا من عدة وعتاد
فاغسلوا ذل كيدكم بدمائي
واحملوا هامتي على الاعواد
حبذا الموت أن رأيت على موتي
حياة لأمتي وبلادي
..

وفي ٢٩ ايار ١٩٤٥ أنذر الجنرال روجيه الرئيس سعد الله الجابري بصفته رئيسا للمجلس النيابي .. بضرورة تسليمه المجلس واخلائه .. وحينما رفض .. قصفت مدافع الدبابات المجلس وقتلت حاميته ..

وهذا الشاعر المرحوم بدوي الجبل يقول :

هتكوا حرمة العرين فهاجوا
أسدا دامي البراثن وردا
حشدوا جندهم وأقبل سعد
يحشد الباس والعقيدة جندا
ضاحك الثغر والضحى مكفهر
روعوه قصفا وبرقا ورعدا
والتقينا فلا وايمان سعد
ما تحدوا بالموت الا تحدى
ضرب الظلم ضربة رنحته
فتداعى مزمجرا فتردى
..

لقد عرف الفرنسيون أن سعد الله ارادة امة في رجل .. فأرادوا الخلاص منه فوجهوا نار أسلحتهم الى الفندق الذي يقطنه فاضطر مغادرة الفندق بلباس راهب ونجى من غدرهم بأعجوبة .

وهذا الشاعر بدر الدين الحامد يقول :

لو تسألون فرنسا هل رأت رجلا
من قبله مفردا كالجيش في العدد
نور اليقين هو الدرع المنيع وفي
عزم الشجاع قوي تغني عن العدد
..

من هم أولاده يا والدي ..؟
يا راحلا لم يخلف بعده ولدا
ذكراك بالحمد فوق الاهل والولد
يفنى الزمان وما أبقيت من أثر
مخلد الصنع مرفوع على عمد
لم تلق بالا الى الدنيا وزخرفها
ولم ترد متعا من لذة ودد
ان تمس في الترب مدفونا فقد دفنت
يداك ما استقر الطاغي الى الابد
..

كان خطيبا .. وحكيما .. صاحب حجة وبيان .. ونظرة ثاقبة نافذة ..

ويقول بدوي الجبل في وصفه :

من يهز الندى بعدك بالخطبة
عصماء تحشد الباس حشدا
ملهم حاضر البديهة تغريه
باحلى مما اصطفى واعدا
مترف الفكر والبيان غنى
باللآلي يصوغ عقدا فعقدا
يجمع الحق والبيان على
الخصم فلما تملك الامر شدا
يطعن الطعنة العفيفة .. لا
تدمي ولكنه اباد وأردى
..

عرف السياسة أخلاق ومروءة .. لا كذب ولا خداع .. فان خاصم فكان شريفا في خصامه وان هادن فلا يهادن على حساب مبدأ وحق .. لايمانه ان لا مساومة على الحق ..

فيقول الشاعر عادل الغضبان :

ذهب السياسي الاريب تنزهت
أغراضه عن خدعة وكذاب
ذهب الشريف خصومه لم يصطنع
ختلا ولا أصغى الى مغتاب
ذهب الصليب الرأى فيما يبتغي
ويظنه في الحق جد صواب
..

تسلم مناصب مختلفة ، كان رئيسا للمجلس النيابي .. رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية والعدل عدة مرات ، فكان مثلا للشهامة والنزاهة .

ذهب الذي وقف الحياة على هوى
وطن نماه فعاش في العزاب
ذهب الرئيس الحر أرضى ربه
وبلاده وضمائر النواب
ذهب الوزير العدل لم ير لابسا
في الحكم بردة ظالم ومحاب
لهفي على هذي الشمائل والنهى
تمسي دفينة جندل وتراب
..

كان أنيقا في لباسه ، تقيا في نفسه وذاته

ذهب الانيق بزيه وخطابه
يجلوهما فيه كريم نصاب
ذهب التقي استلهمت خلجاته
أي الكتاب هذي وحسن متاب
..

كان وحدويا في فكره قوميا في عقيدته فكان ممن عمل لتحقيق جامعة الدول العربية ، فساهم في وضع بروتوكول الاسكندرية عام ١٩٤٤ حيث أنشئت جامعة الدول العربية بموجبه ويقول الشاعر بدر الدين الحامد :

لهفي على رجل للعرب مكتمل
مافي خلائقه الغراء من أود
تبكيه جامعة العرب التي ثكلت
به فتاها ملاذ العرب في الشدد
غرست غرستها يا سعد فازدهرت
بكل نضر على الاغصان منعقد
..

كان صامدا صمود الجبال ، فما زادته الهموم والخطوب الا ايمانا واقداما ، هذه حال

البقية على الصفحة الرابعة

من رجال الجلاء «تتمة»

الرجال العظام يا ولدي · وهذا بدوي الجبل يقول :

يا صفي الاحزان تستقي البرايا
كأسها مرة وتسقيك شهدا
رضيت نفسك الهموم رفيقا

أريحيا على الشدائد جلدا
بورك الهم عبقريا جوادا
لا كهم أعطى قليلا واكدى
قل لمن يحسد العظيم ترفق
ان خلف الامجاد هما وسهدا

.. وكان لسان حاله يقول ، كما قال أبو ريشة :

فعلى الحادثات ان تتوالى
وعلينا الوقوف بالمرصاد

.. ويقول الشاعر بدر الدين الحامد :

هم السياسة قتال لصاحبه
والداء في الجلد غير الداء في الكبد
أصابك السقم لا يأس ولا أمل
والطب لم يدخر وسعا فلم يفد

..

نزار نسيب قباني